نشأة القصة القصيرة وميزاتها فى مصر

غلامرضا گلچين‌راد*
فرشته افضلى**
حسين شمس آبادى***

تاريخ الوصول: ١٣٩٠/٦/١٤هـ ش
تاريخ القبول: ١٣٩٠/٦/٢٩هـ ش

الملخص

القصة القصيرة مبنية على القصة الواحدة التى لها تأثير واحد وهى تفصيلة قصيرة من حياة الإنسان. إن طول القصة القصيرة وزمن قراءتها لايأخذ من المستمع والقارىء إلا وقتاً قصيراً. وهى من الفنون المستحدثة التى ظهرت فى العصر الحديث ولم يعرف العرب هذا النوع من القصة فى العصور الماضية. وليس لها جذور فى التراث القصصى وفى الحقيقة أخذها العرب من الأدب الغربى بعد احتكاكهم واتصالهم بالغرب. وإن القصة المصرية القصيرة نمت فى أعقاب أحداث الحرب العالمية الأولى وظهرت مع ظهور وتولد الكثير من الصراعات فى العالم وما تبعها من ثورة ١٩١٩، بعد فترة من المترجمات القصصية الفرنسية والاقتباسات الصريحة.

ومن رواد القصة العربية الأوائل جرجى زيدان رائد القصة التاريخية، وجبران رائد الأقصوصة، وميخائيل نعيمة الذى تكتمل عنده عناصر الأقصوصة الفنية، والصفة الغالبة على الأستاذ محمود تيمور وهو كاتب القصة القصيرة.

الكلمات الدليلية: مصر، الأدب، الرواية، القصة القصيرة، ميزات، الإبدع الأدبى، الفن.

*. أستاذ مساعد بجامعة آزاد الإسلامية فى گرگان، إيران Golchinrad1212@Gmail.com
**. طالبة الدكتوراه بجامعة تربيت معلم بسبزوار، إيران.
***. أستاذ مشارک بجامعة تربيت معلم بسبزوار، إيران.

المقدمة

القصة القصيــرة فرع من فروع الأدب القصصى النثرى وهى مبنية على القصة الواحدة التى لها تأثير واحد. وهى تعرض مجالاً واضحاً وخاصاً من الزمن. إن الشعر هــو الجنس الأدبى الأوّل الذى يتصــدر اليوم الأدب العالمى ولكن القصة القصيرة وإن كانــت تحتل المرتبة الثالثة بعد الشــعر والرواية، ولكن تبقى الجنس الأدبى الأكثــر تنظيما لنفســها ولزمنها الإبداعى والنقدى. هذا الأثــر الأدبى احتل مكانا مرموقا واكتســب مقاما عاليا فى أكثر بلدان العالم وعلى مر الزمن، شاعت الأنواع المختلفة من القصص القصيرة وهذا الفن أصبح متنوعا ومتكاملا شيئا فشيئا.

أمــا مصطلح القصــة القصيرة، فهو نوع من النثر الفنــى القصصى أو الحكائى الذى يقرأ بشــكل مناســب فى جلســة واحدة ومن حيث الطول فإن هذا النوع الأدبــى يقع فيما بين القصة القصيــرة جداً التى لايقل كلماتها من ٢٠٠٠ كلمة وبيــن النوفليتة أو القصة القصيــرة الطويلة التى يصل عدد كلماتها إلى ١٥ ألف كلمة.» (شــاكر، ٢٠٠٠م: ٢٥)

فنجــد أن القصة كظاهرة قدوجدت منذ وجدت المجتمعات الإنســانية لتلبى حاجات نفسية واجتماعية، وحاول بعض النقاد وضع تعريف محدد للقصة القصيرة؛ فمنهــم من وقع عند حجمها وحدد لها عددا من الكلمات لاتزيد عنها وإن زادت قليــلاً، دخلت فى إطار فن آخر، ومنهم من اشــترط لقراءتها حيزاً زمنياً لاتتعداه كأن يحتــم ضرورة أن تقرأ فى جلســة واحدة، ومنهم نفــى عنها كثرة الأحداث والشخصيات والتفصيلات وإن منهم من ادعى خلوها من الحوار تماماً.

مضمون القصة القصيرة وميزاتها

إن كاتب القصة القصيرة يفتح نافذة فى جو غرفة ملوثة ومختنقة، ويجرى هواء طازج، ونحن ننظر من خلال نافذة القصة القصيرة إلى العالم الذى يحيطنا. القصة القصيرة تشــير إلى الواقعية وتفسر لنا زمناً خاصاً وتعرض قلق الإنسان فى الناس والأزمان المختلفة. هى تشــير إلى حياة الناس الصعبة وتســعى أن تحرك ذاكرة القارىء وتســير بها إلى الحرب مع التلوث والتخلف. ولكــن الحكايات، والقصص تعرض الهروب من الواقع، والحياة، وتبين الأحلام الإنسانية.

كاتب القصة القصيرة اليوم، يكتب ليعطى وقوفاً ويقظةً للإنسان ويكتب ليغسل العيون النائمة. القصة ليست مهدئة قبل النوم، بل هى تنوّم الظلم لتستيقظ العدالة. إذا دققنا إلى الرواية، نفهم أن فيها قصصاً قصيرة اتصلت بخيط الشخصية، الموقف أو الزمان والمكان وتحولت إلى رواية. القصة القصيرة على خلاف الروايات الطويلة، تقوم بدراسة الحياة وموقف الحياة، وكاتب القصة القصيرة يختلف عن كل إنسان فى أنه ينظر إلى الأشياء الواقعية نظرة خاصة، يتعمقها ويفرز عليها من أفكاره وخياله. إنه لايرى فى الشحاذ، قذره وملابسه الرثة، بل قد يرى فيه المجتمع الظالم، والفساد الاقتصادى، ووطنه الفقير.

فى أحيان كثيرة تقوم القصة القصيرة بمحاكاة نسيج الحياة العادية القريبة من جو الأسرة، أما فى القرن العشرين فقد استمرت نفس الاهتمامات القديمة لكن مع إعلاء خاص لقيم أو عناصر الزمان أو المكان واهتمام أكبر بالشخصية وأبعادها الأكثر عمقاً، وقد ظلت مادة القصة القصيرة أحياناً ما تظهر فى شكل وثيق الصلة بالواقع. وفى أحيان أخرى يكون الأساس التخيلى أو الخيالى هو السائد فى القصة، فيقل الجانب الخاص بتقليد الحياة أو محاكاتها ويزداد الجانب التخيلى كما فى قصص ادجار آلان بو وجورج لويس و.... (عبدالمعطى، ١٩٩٤: ٢٠-٢١)

الأنماط العديدة للقصة القصيرة

١. الميتولوجيا: وهو مزج بين الأساطير والزمن المعاصر، دون التأثر بما شكلته لنا الأساطير من سحر وجمال... أو حتى التقيد بأزمنتها وأمكنتها.

٢. التسجيلية: هى لاتعنى الخواطر والوجدانيات أو حتى الكتابة الإنشائية، بل هى قصص فى إطارها المألوف _ ولكن بإضافات إبداعية جديدة – تتضمن للكاتب الحرية والوجدانية.

٣. السيكولوجية: قصص تطمح إلى تصوير الإنسان وعكس أفكاره الداخلية... تصل إلى المستوى النفسى للإنسان وتتكلم دائماً عن أشياء خفية فى النفس البشرية.

٤. الفانتازيا: هو أشرس أنواع القصة القصيرة، فهو ذا طابع متمرد، متميز بالغربة والضياع، هو أسلوب ثورى على الأساليب التقليدية، وخروج غير مألوف عن الدارج بحيث يطغى على المادة. كاتب هذه النوعية من القصص يرفض التقليد

أو الرضوخ للواقع.» (عناصر القصة القصيرة، فى الموقع: http://www.4uarab.com)

من ميزات القصة القصيرة: أولاً: الوحدة، وهى أســاس جوهرى من أسس بناء القصة القصيرة، وتشــمل وحــدة الدافع، ووحدة الهدف، ووحــدة الحدث، ووحدة الانطبــاع. فالوحدة فى الحادث، والغرض، والموقف، ولعل وحدة الانطباع التى قال بها "ادجار آلان بو"، تجمع كل وحدات فى بؤرة واحدة. (اسماعيل، ١٩٧٨م: ٧٤)

ثانيــاً: التركيــز وهو يكون فى كل شــىء وهو أهم مميز للقصــة القصيرة. إن عنصر التركيز يلزم أن يكون مقوماً من المقومات الرئيســة لهذا النوع من القصة، لأن القصة القصيرة تتلقى أثرها ككل وفى الحال والسرعة، لا بد من كونها مكثفة ومركزة جداً. (سيد قطب، ١٩٦٦م: ٤٢٣)

فنســتطيع القــول بأن القصة القصيــرة تدور على محور واحد فى خط ســير واحد ولاتشــمل من حياة أشــخاصها إلا فترة محدودة أو حادثــة خاصة أو حالة شعورية معينة ولاتقبل التشعب والاستطراد إلى ملابسات كل حادث وظروف كل شخصية. (المصدر نفسه: ٨٢)

فــإن القصة القصيرة كانت ولاتزال أقــرب الفنون الأدبية إلى روح العصر، لأنها انتقلت القص من التعميم إلى التخصيص ولاتتناول الحياة أو الشــخصية الكاملة بــكل حوادثها وظروفها، بل تصور جانباً واحداً من جوانب حياة الفرد أو زاوية من زواياه وإنها تستخدم كل الأجناس الأدبية.

دلائل الإقبال على القصة القصيرة: كتابتها وقرائتها

من الممكن أن نرى جمال كل شىء فى هذا الشعر الطويل والمنسجم؛ جمال الشــكل، جمال الإنسان، جمال الحياة، جمال الغد، جمال أيام الناس، و... والقصة القصيرة تعلمنا صورة من الكفاح، ومحاولة الإنســان الصعبة، وتصرح لنا الاحتجاج علــى الحيــاة اليومية. القصة القصيرة تشــمل على باطن الــذى يمكنه أن يكون خيراً أو شــراً. إنها فن أدبى مرن جداً، حســاس جداً وشديد التأثير بسائر أشكال التعبير. هى تؤســس بعض فنيتها على منجزات العلوم، لاســيما الإنســانية مثل علــم الاجتماع، وعلم النفس، والمنطق، وفيها من الكنوز، والإحاطة بالشــخصية، والحدث، والواقع إحاطة شاملة.

دلائل نشوء القصة القصيرة

لماذا نشـأت القصة القصيرة فى المجتمعات الأوروبية وأى أسـباب أدت إلى ظهـور هذا النوع الأدبى؟ فى أوائل القرن١٩، الحروب الأدبية جعلت شـيئاً تحت أيدى الكتاب لتقدم نفسها إلى القراء عن طريق القصة القصيرة، ولذلک فى القرن ١٩ كتبت القصص القصيرة أكثر من الأزمنة الماضية شيئا فشيئا.

«ميـلاد القصة القصيرة ارتبط ارتباطا جوهريـا بميلاد الصحافة، ويرجع فضل انتشـار القصة القصيـرة إلى الطبقة الوسـطى، لأن القصة القصيـرة تعرض على صفحـات الصحف، والمجلات، وكان أكثر قرائها مـن أبناء هذه الطبقة. إن القصة القصيرة ظهرت فى منتصف القرن التاسع عشر، وكثرت ثمارها فى القرن العشرين بتعـدد اتجاهاتها، وكثرة كتابها، وتنوع أسـاليبها ولكن يعتقـد بعض الأدباء بأن القصة القصيرة أصول وجذور فى المقامة، وابتدأت المحاولات للقصة القصيرة من المقامة، ويعتبر فن المقالة رافداً للقصة القصيرة.» (الدقاق، ١٩٩٧م: ١٩٢)

القصة القصيرة ميلادها وروادها فى الأدب العالمى

القصـة القصيـرة الحديثة أصغر عمراً مـن الرواية. ظهرت فى القرن التاسـع عشـر وبعد خمسـين عاماً من ظهورها بلغت مرحلة النضـج فى أعمال عدد من الكتاب، ثم ازدهرت وتمثل فى أعمال عدد من الكتاب المحدثين الكبار فى بداية ومنتصف القرن العشـرين من أمثال "جيمس جويس"، و"فرانز كافكا"، و"ارنست همينجوى"، و....

يعتبر "إدجار آلان بو" من رواد القصة القصيرة الحديثة فى الغرب وقد ازدهر هـذا اللون من الأدب فى أرجـاء العالم المختلفة طوال قـرن مضى على أيدى "جيمـس جويـس" (jims juice) (١٨٨٢-١٩٤١م)، و"موباسـان" (moopasan) و"زولا" (zoola)، و"تورجنيـف"، و"تشـيخوف" (tchekhov)، (١٨٦٠-١٩٤٠)، و"هـاردى" (hardie) و"ستيفنسـن" (steffensen)، ومئـات مـن فنانـى القصة القصيـرة. ولعل أول من كتب القصة القصيرة فى شـكلها الحديث المتكامل هو الكاتب الفرنسى "جى دى موباسان" فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر.» (ميرصادقـى، ١٣٦٠م:٩٨)

حجم القصة القصيرة

قد ذكرت أقوال مختلفة حول حجم هذا الفن الأدبى؛ منها: «إنها تقرأ فى أقل من ساعة وقال "ادجار آلان بو": «إن قراءتها تستغرق نصف ساعة أو ساعتين.» وهناك آخرون عينوا لها زمناً أقل من ذلك وحددها بعضهم بعدد الكلمات. فقال "مورلى": «إننى أوافق على الإنسان أن لايستطيع أن يحدد بدقة طوال القصة القصيرة، ولكنى أعتقد أن الغالب أن أى قصة تقع فى أقل من ١٥٠٠ كلمة، من الأفضل أن تسمى (sketch) وأن أى قصة تقع فى أكثر من ١٠٠٠ كلمة من أفضل أن توصف بأنها قصة (novelette)... ولكن إن القصة القصيرة بحق ينبغى أن تتراوح فى الطول بين ١٥٠٠و١٠٠٠٠ كلمة.» (إسماعيل، ١٩٧٨م: ١٧٤)

فالبعض يرى أن طبيعة القصة القصيرة لاتتحمل سوى بضع صفحات قليلة استجابة لطبيعة الحياة السريعة، وإيقاعها الموصول المرتفع الأداء وضرورة أيضاً من حيث مقتضيات النشر بحيث لاتستغرق القصة القصيرة مساحة كبيرة خاصة فى الصحف السيارة، كما يرون أن طبيعة القصة القصيرة نفسها توجب ألا تتجاوز صفحة واحدة، حيث أنها عادة ما تقدم لحظة عابرة منفصلة ولا شك أن طول القصة يتوقف على هذا الاختيار الإبداعى، فالقصة القصيرة لقطة فنية من الحياة لكنها فى ذات الوقت تشتمل على جميع عناصر ودراما الحياة، كأنما هى جزء من مادة أو قطرة من بحر الحياة الزاخر تحمل فى طياتها كقطرة جميع أوصاف ذاك البحر الصاخب. (مجلة الأنهار، العدد٧٦)

والواقع لايستطيع الإنسان أن يحدد حجم القصة القصيرة والتحديدات التى ذكرت نفسها، ليست حاسمة، فزمن القراءة يختلف باختلاف السرعة والبطء وأيضاً نحن لانستطيع أن نبين عدد كلمات القصة القصيرة، ولا شك أن خصائصها الأخرى وطريقة كتابتها تؤدى فى آخر الأمر إلى حيزها الضيق.

القصة فى مصر؛ نشأتها وتطورها

يتساءل الباحثون: هل القصة القصيرة موجودة فى الأدب العربى القديم أو نشأت فى العصر الحديث؟ توجد آراء وعقائد مختلفة حول وجود القصة القصيرة فى الأدب العربى القديم ولكن كل هذه النظريات ستختم إلى نظر واحد.

يعتبر فن القصة القصيرة من الفنون الأدبية الحديثة التى عرفها الأدب العربى فى هذا العصر وإن كان هناك من يرجع جذورها الأولى إلى بعض الفنون الأدبية القديمة، لكن حقيقة الأمر أن القصة القصيرة بشـروطها الفنية المعروفة، هى فن جديـد وهذا الأمر ليس فـى الأدب العربى فقط، ولكن حتى فـى الآداب الغربية الأخرى.

فيكاد يتفـق الأدباء والنقاد بأن القصة القصيرة من الفنون المسـتحدثة التى ظهـرت فـى العصر الحديث ولم يعـرف العرب هذا النوع من القصـة فى العصور الماضية وليسـت القصة القصيرة جذور فـى التراث القصصى وفى الحقيقة أخذها العرب من الأدب الغربى بعد احتكاكهم واتصالهم بالغرب. ومن المعتقدين بحداثة هذا الفـن، هو "نجيب عطوى" حيث يقول: «إن القصة القصيرة بمفهومها الحالى والمتطور حديثة النشـأة ولم يعـرف الأدب العربى القديم هـذا النوع من القصة وظهـور فن القصـة القصيرة يرتبط بالترجمات التى قدمـت المترجمين فى هذا الفن.» (عطوى، ١٩٨٧م: ٥١)

لـم يعرف التاريخ قصةً أقدم من القصـة المصرية لأن المجتمع المصرى كان أقدم مجتمع عرفه التاريخ، كما كان للشرقيين، السبق فى ميدان القصة بعد زوال دولة الفراعنة، فظهرت القصة فى الإسـكندرية وسـوريا، قبل أن تظهر فى آسـيا الصغرى وسـائر بلاد الاغريق وإن كان الإغريق عرفوا الملاحم الشعرية قبل ذلك. فى أوائل القرون الوسطى استمع الناس فى مصر، وسوريا، وفارس إلى القصة قبل أن تقرأ القصة فى أروبا ببضعة قرون.

بدأت سلسـلة ألف ليلة وليلة، فى القرن العاشر للميلاد ولم يؤثر نظير لها فى الغرب قبل القرن الحادى عشـر. لم يكن للقصة شأن قبيل مطلع القرن العشرين فى مصر، ويحتقر كاتـب القصة القصيرة ويعتبر متطفلاً على موائد الأدب. وكانت القصة القصيرة شـيئاً للتسـلية. «إن من أسباب تغلب القصة القصيرة على الرواية فى مصر مع بداية القرن، أنّ الجرائد اليومية كانت تمثل الطريق الوحيد للنشر، إذ لم تبدأ مطابع كثير فى نشـر مجاميع قصصية قصيرة كما أن الجرائد تفضل نشر قصة كاملة مستوعبة الموضوع من أن تنشر قصة مطولة، فالقصة الطويلة (الرواية) حين يتم نشرها على أجزاء عديدة، سيجد القارئ صعوبة فى متابعتها.» (السبيل،

فی الموقع: http://www.aushtaar.com)

«إذ لم يظهر هذا الفن إلا منذ حوالی قرن تقريباً وإن العرب لم يأخذوا القصة الحديثة عن أوروبا، فالقص جذوره ممتدة فی التراث العربی. أما القصة القصيرة بشكلها الحديث الذی وصلت إليه، فهی نتاج أوروبی بلا مراء ولكن العرب لم يتخلفوا عن ركب القصة القصيرة؛ لأن العرب أبدع فی هذا المجال فی عصر موازٍ للإبداع الغربی، لأن الفارق الزمنی بين العرب وبينهم لايتعدی عشرات من السنين وهذا فی رأيه ليس زمنا طويلا ولا عصرا كاملا.» (النساج، ۱۹۹۲م: ۲۴۱)

أما، القصة القصيرة فی مصر تأخرت بسبب عوامل مختلفة كاهتمام الناس إلى القضايا السياسية ولذلک رغب الكتاب إلى الأهداف السياسية لا الاهداف الأدبية. ووجود الأمية فی البلاد، وعدم حماية المسؤولين والطبقات الأرسطقراطية من الكتّاب والكاتبات، وكتابة القصة ظهرت القصة القصيرة فی الترجمات من الأدب الأوروبی وبقيت الترجمة مصدرها الأكبر حتی إلى بعد الحرب العالمية الأولى.

وكان عند كتاب القصة القصيرة فی مصر ثلاثة اتجاهات فی كتابة القصة؛ الاتجاه الرومانسی الذی نری فيه الكتّاب تحدثوا عن الطبقة البرجوازية، واتجاه التحليل النفسی، والاتجاه الواقعی. أما القصة القصيرة فی مصر فكانت تتوجه بشكل مباشر إلى الإصلاح الاجتماعی، وكان الكتاب يسعون نحو تحقيق أخلاقی لايخص مصر فقط، بل يشمل كافة الأقطار العربية، والقصة القصيرة كانت حاجة اجتماعية قبل أن تكون حاجة فنية.

«كانت مصر أنشط البلدان العربية إلى التأليف القصصی الجديد وفی قصصها علی العموم ما يعكس، أحوال المجتمع المصری من ناحيتين رئيسيتين: ناحية الحياة الريفية وما تتسم من بساطة، وقناعة، وتأخر، وبؤس، وناحية الحياة المدنية، وخصوصا ما يتعلق بظواهرها الزائفة ونقائصها الاجتماعية والاقتصادية. وممن عالجوها وكان لهم فی كتابتها شأن يذكر: طه حسين، ومحمد تيمور، ومحمود طاهر لاشين، ومصطفی المنفلوطی، وتوفيق الحكيم، ومحمود تيمور، ونجيب محفوظ، و....» (المقدسی، ۱۹۹۰: ۴۹۹)

قد تمثل ظهور القصة مع تصاعد البرجوازية، وانتفاضة الأمة المصرية فی بداية القرن العشرين وجاءت القصة ملبية لذلک القلق الإنسانی الذی كان سائداً فی

المجتمــع العربى فى ذلک الوقت وأيضاً تعبيراً عن تلک الفئات، وتلک القلقة فى المجتمعات العربية، فاستمرار وجود القصة القصيرة مرهون بذلک القلق.

ظهور القصة القصيرة فى الوطن العربى ارتبط ببعض التحولات فى المجتمعات العربيــة مثل تحرر المرأة الذى أدى إلى دخول المرأة فى مجال الكتابة القصصية وثبت إلى أن كاتبات القصة القصيرة بين المبدعات العربيات أكثر من الشــاعرات وقد وجدت المرأة نفســها أكثر قدرة فى كتابة القصة بسبب الحرية التى وجدتها فى هذا النوع من الكتابة، حيث تصرح همومها وتعبر عن قضاياها العربية.

«أول شىء نلحظه فى نشوء القصة القصيرة الفنية فى مصر، هو أن هذا النشوء واكب انتفاضة الأمة المصرية وثورتها العارمة سنة ١٩١٩م، كتب القليل منها قبل انفجــار الثورة وهو يتمثل فى قصص "محمود تيمــور"، ثم تبعه بعد الانفجار فى العشرينات من هذا القرن، الرواد الآخرون وقد انبثقت القصة من الثورات الوطنية، والفكرية، والأدبية، والاجتماعية.» (خضر، ١٩٦٦م: ١٠٣)

«وفــى المرحلة الأولــى من أوائل القصص فــى الأدب المصرى، مجموعة من القصص الشــعبية على طراز ألف ليلة وليلة للشــيخ محمــد الخضاوى فى تصور البيئة المصرية وهى مفقودة وقد خلدتها ترجمة "مارسيل" الفرنسى – أحد علماء حملة نابليون على مصر – لها إلى الفرنســية، وبتأثير الآداب الأروبية، واتصالنا بها وجدت لدينا القصة ودخل هذا الفن الأدبى إلى الأدب الحديث، فظهر أول ما ظهر من الآثار القصصية الفنية، حديث عيســى بن هشام لمحمد المويلحى.» (جيب، لاتا: ٩٢)

«القصة القصيرة تبدأ بمدرسة مجلة "السفور" (١٩١٥-١٩٢٥م) لعبد الحميد، وتلى مدرســة السفور، مدرسة "مجلة الفجر" (يناير ١٩١٥-١٩٢٧م) ورائد القصة القصيرة فى الأدب الحديث فى رأى سيد حامد النساج، هو "صالح حمدى حماد" وذلک بمجموعته "أحســن القصص" عام ١٩١٠م، بينما يرى "على كامل فيضى" أن «محمــود عــزى هو أول رائد للقصة العربية القصيرة فى مصر.» فقد نشــر فى مجلة السفور ما بين ١٩١٥ و١٩٢٣م ثلاث عشرة قصة، بينما لم تزد القصص التى نشــرت لمحمد تيمور والتى تضمنتها مجموعة "ما تراه العيون" عن سبع قصص نشرت فى سنة ١٩١٧م.» (الخفاجى، ١٩٨٥م: ١٤٦)

وقد تأثــر كتاب القصة القصيــرة الأوائل بالقصص الأوروبية تأثراً مباشــراً عن طريق اللغة الفرنســية، والغة الإنجليزية، ويقف "جى دى موباســان" فى المقدمة كنمــوذج يحاكى فى خلق القصة القصيرة العربيــة. وكان قصاصو العرب قد وقفوا على دقائق الفن القصصى الغربى. إن القصة لم تعرف الرومانســية طوال تاريخها، لكنها ولدت بالواقعية التقليدية وقد اســتمر ذلک فى مرحلة نشــأتها الأولى منذ قصة (فى القطار) التى أبدعها القاص والكاتب "محمد تيمور" سنة ١٩١٧م.

«إذا كانــت قصص المنفلوطى - التى احتواهــا كتاب العبرات – تمثل الريادة الأولى غير الناضجة لفن القصة القصيرة، فإن قصص "محمد تيمور" تمثل الريادة الناضجة والأدنى إلى الكمال فى هذا الفن فى خطوة تالية لخطوة المنفلوطى. وقد كان محمــد تيمور على صلة قوية بالفن القصصى الغربى وكان متأثراً بموباســان القصصى الفرنســى، وأولــى قصص محمد تيمور وهى "فــى القطار" تمثل ميلاد القصة القصيرة الفنية فى الأدب المصرى الحديث.» (هيكل، ١٩٩٤م: ٢٠٤)

نشــأة القصــة القصيرة وتطورها فــى مصر تدين إلى محــاولات الناس الذين ترجموا آثارا كبيرة من الغربيين خاصة الإنجليزيين، والفرنسيين وعرّفوا أسلوبهم بكتاب العرب، من بين هذه الأشــخاص نســتطيع أن نشير إلى المنفلوطى الذى كان رائداً فى هذا المجال.

قد تمثل ظهور القصة مع تصاعد البرجوازية وانتفاضة الأمة المصرية فى بداية القرن العشــرين، وجاءت القصة ملبية لذلک القلق الإنســانى الذى كان سائداً فى المجتمــع العربى فى ذلک الوقت، وأيضاً تعبيراً عن تلک الفئات، وتلک القلقة فى المجتمعات العربية، فاستمرار وجود القصة القصيرة مرهون بذلک القلق.

إن كتــاب القصة القصيرة لم يحققوا الانتشــار الذى حققــه الروائيون والذى استطاع منهم أن يحقق شهرة كبيرة، كان سمعته بسبب كتابة رواية واحدة، فى حين أن كتّاباً كثيرين مثل "محمود بدوى"، و"محمود تيمور"، أبدعوا عدداً كبيراً من القصص القصيرة دون أن يحققوا الشــهرة نفســها. كان كتاب القصة القصيرة فــى مصر كلهم واقعيين ونهجوا على منهج الحقائــق؛ وبالرغم من أن لكل كاتب خصائصه ومميزاته الخاصة ولكنهم كان تدور فكرتهم حول الواقعية.

عندما نلاحظ القصص القصيرة المكتوبة فى أواخر القرن التاســع عشر وأوائل

القرن العشـــرين، نجد شبهاً واضحاً بين القصة القصيرة وبين الروايات، حتى تبدو كأنها رواية مختصرة فى رســم الشخصيات وتحديد الزمان والمكان. كأن القارىء يشــعر بأن قطعــة من القصة الطويلــة قد حذفت وقد خلط الكتــاب بين الفنون القصصية من القصة القصيرة والرواية فى الفترة التى لم يكن ظهور القصة القصيرة الفنية. يعتقد "ابراهيم السعافين" باختلاط الكتاب بين الفنون القصصية فى أوائل القرن العشــرين، حيث يقول: «إن القصة القصيــرة الفنية هى تجربة جديدة من الأدب العربــى، وتتطلب ميزان وإمكانية فنيــة معينة، والقصة القصيرة قائمة على الوحدة والتركيز.» (هيكل، ١٩٩٤م: ٢٠٧)

ومن رواد القصة العربية الأوائل "جرجى زيدان" رائد القصة التاريخية، و"جبران" رائد الأقصوصة، و"ميخائيل نعيمــة" الذى تكتمل عنده عناصر الأقصوصة الفنية، والصفة الغالبة على الأستاذ "محمود تيمور" وهو كاتب القصة القصيرة.

أما فــى المرحلة الثانية؛ فالقصة قدلبّت احتياجــات أيديولوجية اختلفت عن المرحلة الأولى التى كانت متأثرة بالكتابة الغربية، وطريقة بناء القصة الموباسانية، والقصة الروســية لدى تشــيخوف، وقد ظهر هذا التأثر على كتاب القصة القصيرة حتى "يوســف ادريس"، ومن هنا بدأت المرحلة الثانيــة فى مراحل تطور القصة فى مصر.

«فى المرحلة الثانية اكتشفت فيها كتاب العرب، أنهم تناسوا جذورهم الثقافية العربية فى الســرد العربى القديم وفى هذه المرحلــة راح الكتاب العرب يبحثون عن التراث القديم، ويزوجون بينه وبين السرد الحديث وقد تمثلت هذه المزاوجة فى الاســتعانة بالموال، والتراث الشــفهى، وبنية الحكاية الشــعبية، وتنشيط دور الراوى الشــعبى فى كتابــة القصة، وهذا مختلــف بالطبع عن الكتابــة التقليدية التــى يظل فيهــا الراوى متوارياً خلــف الأحداث. وأما القصــة المعاصرة فى مصر من المرحلة الثالثة والتى تســتمر حتــى الآن، فقد تأثرت بالتحولات الكبرى فى العالم والتغيرات التكنولوجية الأكثر تأثيراً فى الإنسان المعاصر والتى يتعامل معها بحس اســتهلاكى.» (آراء النقاد حول نجيب محفوظ فــى الموقع: http://www.alwatan.com)

«إن القصــة المصرية القصيرة كانت تعــد لونا من ألوان العبث فى بدايات هذا

القــرن وإنها انتهت بعد بداية ممتازة فی أوائل العشــرينات إلى شــبه إفلاس فی أواخر الثلاثينات. إن المدرســة الحديثة - محمود طاهر لاشــين، حسين فوزی، ابراهيــم مصری، و... - التی تأثرت بالقصة الروســية وتفتحت أذهانها على القصة العالمية عن طريق ترجمة روائعها، تبنت قضية بناء قصة مصرية لكنها انتهت إلى شبه إفلاس فی أواخر الثلاثينات.» (عطية، ۱۹۷۷م: ۱۴۲-۱۴۱)

كان ثلاثــة اتجاهات للقصة القصيرة فی مصر: ۱. الاتجاه الرومانســی: ســيطر الاتجاه الرومانسی على وجدان كتاب القصة القصيرة فی ظلّ رأس المال المحلی، وظهور الطبقة البرجوازية طوال الثلاثينات. اكتفى كتاب هذا الاتجاه بالتعبير عن الطبقــة البرجوازية وتمجيدها وتمثل ذلک فی قصص "محمود كامل"، و"ابراهيم ناجی" و... . ۲. اتجاه التحليل النفســی: اتجهت القصة القصيرة عند بعض الكتاب نحو التحليل النفســی وهؤلاء الكتاب يستندون إلى الثقافة المعاصرة وإلى دراسة علم النفس لمعرفة خبايا النفس الإنســانية ومن أنصار هذا الاتجاه "محمود عزت موســی" و"ابراهيم المصری" و... . ۳. الاتجاه الواقعی: وفی أعقاب الحرب العالمية الثانيــة، أخــذت القصة القصيرة تتجــه نحو الواقع وانتقلت حركــة المجتمع إلى المرحلــة الجديدة، والاتجاه الواقعی قدبلغ غايته فی القصة القصيرة فی منتصفات الستينات، وإن بعض كتاب هذا الاتجاه أظهروا الانحياز للريف وفلاحيه فی قصصهم مثل "سعد عكاوی" و"أحمد رشيدی صالح"و... . (خضر، ۱۹۶۶م: ۷۸-۷۷)

النتيجة

إن القصــة المصرية القصيرة نمت فی أعقاب أحــداث الحرب العالمية الأولى وظهــرت مع ظهــور الكثير من الصراعات فی العالم ومــا تبعها من ثورة ۱۹۱۹م، بعد فترة من المترجمات القصصية الفرنســية والاقتباســات الصريحة.وإن حركة الترجمة مهدت أســباب تعرف المصريين على الثقافة الغربية، وحضارتها، وآدابها خاصــة الأدب القصصــی، وأيضاً قــام المصريون بإحيــاء التــراث العربی لإحياء مجدهم فأقبلوا على كتابة القصة مســتخدماً أســاليب الفنــون القصصية القديمة خاصــة المقامات والحكايــات الاجتماعية. ولكن لم يحتج كتــاب القصة القصيرة إلــی القصص المترجمة، لأنهم كانوا متعلمين بالآداب الأجنبية ولذلک نســتطيع

القول إن الترجمة لم تؤثر كثيرا فى نشــأة القصة القصيرة العربية وإنما كان التأثر المباشر فى تلك الفترة عن طريق الاتصال المباشر بالأدب الأجنبى. وإن التغيرات الهائلة التى تحدث الآن والتى تظهر فى انتشــار ثقافة العولمة مع تغيرات ثقافية، واجتماعيــة، وسياســية، واقتصادية تظهر كثيرا فى القــص الحديث والذى يعتبر انعكاساً واضحاً لها.

المصادر والمراجع

_ إسماعيل، عز الدين، ١٩٧٨م. الأدب وفنونه. الطبعة السابعة. القاهرة: دارالفكر.

_ جيب، هاملتون. لاتا. دراســات فى الأدب العربى. ترجمة محمد يوســف نجم. دمشق: المركز العربى للكتاب.

_ خالد، جودة أحمد. ٢٠٠٦م. «حجم القصة القصيرة». مجلة الأنهار. ديسمبر. العدد٧٦.

خضر، عباس. ١٩٦٦م. القصة القصيرة فى مصر منذ نشأتها حتى سنة ١٩٣٠م. الدار القومية.

الخفاجى، محمد عبدالمنعم. ١٩٨٥م. الأدب العربى الحديث. الجزء الرابع. مصر: مكتبة الكليات الأزهرية.

_ الدقاق، عمر وآخرون. ١٩٩٧م. ملامح النثر الحديث وفنونه. بيروت: دار الأوزاعى للطباعة والنشر.

_ شاكر، عبد الحميد. ٢٠٠٠م. سيكولوجية الإبداع الفنى فى القصة القصيرة: العملية الإبداعية فى القصة القصيرة. القاهرة ک دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

_ شــمس آبادى، حســين ومحمد جهان بين. «جبرا والقصة القصيرة». فصلية دراسات الأدب المعاصر. خريف ١٣٨٩ش. العدد٨. صص٧٥-٩١.

_ عبد المعطى، فاروق. ١٩٩٤م. يوسف إدريس بين القصة القصيرة والإبداع الأدبى. بيروت: دار الكتب العلمية.

_ عطوى، على نجيب. ١٩٨٧م. تطور فن القصة اللبنانية العربية. بيروت: دار الآفاق.

_ عطية، أحمد محمد. ١٩٧٧م. مع نجيب محفوظ. بيروت: دارالجيل.

_ قطب، سيد. ١٩٦٦م. النقد الأدبى، أصوله ومناهجه. بيروت: دار الفكر.

_ المقدســى، أنيــس. ١٩٩٠م. الفنون الأدبيــة وأعلامها فى النهضة العربيــة الحديثة. بيروت: دارالعلم للملايين.

_ مير صادقى، جمال. ١٣٦٠ش. ادبيات داستانى، داستان كوتاه. تهران: انتشارات آگاه.

_ النساج، سيد حامد. ١٩٩٢م. أصوات القصة القصيرة. القاهرة: دار المعارف.

_ هيكل، أحمد. ١٩٩٤م. تطور الأدب الحديث فى مصر (من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثانية). القاهرة: دار المعارف.

المواقع الالكترونية

_ عناصر القصة القصيرة فی موقع: http://www.4uarab.com
_ السـبيل، عبدالعزيز. مفهوم القصـة القصيرة بين آراء النقـاد ورؤى المبدعين، ۱۴۲۱ق. فی موقع: http://www.aushtaar.com
_ آراء النقاد حول نجيب محفوظ، موقع: http://www.alwatan.com.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی